وكان المماليك أيضاً في هذه المدة أقل خطباً والملك
لويس التاسع قد حضر معهم أمراء الشام وأرسلوا إلى لويس
سفارة تعرض عليه التحالف ضد الملك الناصر يوسف فاستغل
هذا الموقف الملك الفرنسي واشترط على المماليك لإتمام
ذلك التحالف إرسال رؤوس الفرنجة المعلقة على أسوار
القاهرة وجميع أسرى الصليبيين الذين وقعوا في أسر المسلمين
هذا بالإضافة إلى إعفاء لويس التاسع ومن معه من الغرامة
المستحقة عليه بموجب صلح دمياط كما طالبهم ببيت المقدس
وقد وافق المماليك على جميع هذه المطالب فضلاً عن
موافقتهم على تسليم بيت المقدس للصليبيين إذا نصروهم
على الخوارزميين وعقدت معاهدة بذلك في مايو ١٢٥٠هـ
١٢٥٢م ونصت موافقة المماليك على الشروط
السابقة في مقابل تعهد لويس التاسع بالاشتراك معهم
في القيام بحملة عسكرية ضد الملك الناصر يوسف الأيوبي
على أن يلتقي جيوش المماليك والصليبيين بالقرب من دمشق[1]

سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك ص ١٨٢.
(١) محمد علي الصلابي: التاريخ الإسلامي ج ٥ ص ١٨٠.
فايد حماد: الجهاد الإسلامي ج ٢ ص ٣٤٢.
- نظير حسان: الحرب والسلام ص ١٢٥-١٢٦.

وتنفيذا لهذه المعاهدة خرج لويس التاسع على رأس
ألف وخمسمائة مقاتل إلى إياغا واستولى عليها دون مقاومة
وكانت تحت الحكم الأيوبي بينما تقدم الجيش
المملوكي بقيادة فارس الدين أقطاي نحو غزة دمشق في
الصالحية، أما الناصر يوسف فتحرك على حدة
الخليفتين
● الرحلة ليحول دون التقاء الخليفتين فأرسل قوة
عسكرية من أربعة آلاف مقاتل عسكرت على تل العجول
قرب غزة وبعد أن سيطرت على هذه المدينة أرسلت
إلى إياغا لاستعادة تحالفه مع لويس التاسع وبالفعل
سيطر الأيوبيون على غزة فظل الممالك في الصالحية
● وظهرت بين الطرفين بوادر احتكاك واشتباك كل منهما
يتحفز بالآخر حتى أضحت المواجهة المكشوفة وشيكة

الوقوع!!

- المقريزي: السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٨١.
- عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٣٣
- محمد مؤنس عوض: الصلاح بين التاريخ والإنشاء ص ١٧٢
- يوسف حسن غنايم: معاهدات الصلح بين المسلمين والفرنجة ص ٧٧ ٨٢.

ولكن حدث عندما بلغ النزاع بين المماليك والأيوبيين
تلك الدرجة هذه الخطورة تدخل الخليفة العباسي
المستعصم بالله وهو الذي كان أكثر إحراجًا باقتراب
خطر المغول من بلاده فأرسل الشيخ نجم الدين البادراني
للتوسط بين المتنازعين بمصر والشام وضع أي صدام
بينهم وهو الصدام الذي كان لا يستفيد منه إلا الصليبيين
الدخلاء وحثهم وتفضل تلك الوساطة تم الصلح بين
المماليك والأيوبيين في أول ابريل سنة ١٢٥٣م/٦٥١هـ
فاعترف الناصر يوسف بسيادة المماليك على مصر وبلاد
الشام من نهر الأردن؟ واعترف المماليك بسيادة الأيوبيين
على بقية بلاد الشام وأن يدخل فيها للمصريين غزة
والقدس ونابلس والساحل كله طا

(١) ابن واصل: تاريخه ج٥ ص٣٦٢
- حسن أحمد الباشا: الفن الحربي ص٢٦٤،
- جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام
ص٣٠٥

عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص١٨٢
عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص٨٦٤
صلاح البهنسي: الخلفية التاريخية ص٧٤
محمد أحمد سمك هجاءة المغول والمماليك ص٣٤٧
محمد علي الصلابي: المكارثية الإسلامية ص٢٧٠
فايد حماد: الجهاد الإسلامي ص١٣٣.

هكذا أدت وساطة الخليفة العباسي إلى ضياع الفرصة للحصول على بيت المقدس عن طريق استغلال الموقف بين الأيوبيين والممالك وكان هذا بمثابة ضربة جديدة لآمال الملك الفرنجي في الصميم وأصبح امتلاك بيت المقدس أمرًا بعيد المنال.

ومهما يكن فقد أفاد لويس من هذا النزاع بعض الفائدة وحقق للقضية الصليبية التي تبناها بعض النفع فيما يتعلق بالحصول على حرية الأسرى الفرنج والتجاوز عن مبلغ ضخم من المال وهو نصف الفدية والتجاوز التي كانت مقررة عليه (٤).

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص ٨٦٤

(٢) جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام ص ١٨٦

(٣) محمد أحمد دياب: المدن والممالك ص ٣٤٧

(٤) جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام ص ١٨٧

ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا الفصل الذي اصاب
ما عرف فيما بعد باستغلال النزاع القائم بين مصر والدولة
العثمانية في العودة الى الغرب كل ذلك مقابل ان يوصل جنود الرب انفسهم بالفعل في تحصين القلاع والحصون
الصليبية في الشام حتى قام صلاح الدين بفتحها وضمها
وعلى الرغم من هذه الاجراءات الدفاعية التي اتخذها لويس
الا ان هذا الصلح الذي عقد بين الملك الصالح نجم الدين ايوب
سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م كان اتباع هذا الصلح الفرصة للملك
الناصر الاخير داود ان يفرغ في جميع ما لديه من قوة
للجهاد ضد الاطماع في الشام.

وعقب هذا الصلح توجهت القوات الايوبية الى الكرك مرابطة
في غزة صوب يافا وهاجمتها في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م وكان
كانت المدينة على درجة كبيرة من التحصين الا انه سقطت
لهذه القوة التي اضطرها الى الجلاء عنها والانتقال الى
عكا وهناك طالبت القوات الايوبية الصالحية في عكا بتقديم
حصن الفندق وكان خربة الهم الراسخ والمرج الصليبية المحيطة
بعكا فتصدت حامية عكا للقوات الايوبية فاضطرتها الى
الانسحاب دون ان تحصل على شيء.

توجهت القوات الاسلامية عقب ذلك الى صيدا وتطرقا
لعدم اكمال تحصين هذه المدينة فتوجهت القوات
الأيوبية الى اسكندرونة عليها في سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م واعملوا
فيها النهب والسلب وقتل الكثير من اهلها. ووقع الكثير من
الاسرى واسطحتجر القوات الأيوبية وعادت بهم الى دمشق[1]

وانفرد الهرجي[2] بذكر احداث هذه الحملة التي قادها الايوبيين
الذين كانوا قد عادوا عن عودتهم الى دمشق فسيروا الى أنحاء عكا الملك
الناصر الى دمشق وعاد الملك الناصر يوسف الى العمل على
اعمال ومرمات المرتفع واضرب وكل المرتفعين حصنا
بيافا وقد بنا الجسور وبنى سورها ربضا وصيدا وصل
الملك الناصر الى عكا وخرج المرتفع الى تل القيصرة
وزحف الى الحصن على كرباته[3] بمكوسها ووصلوا الى
صيدا وزحفوا عليها فأخذوها بالسيف وراح منكم
جماعة قتلا واسرا.

كما اشار ابن شداد[4] الى استيلاء الملك الناصر صلاح الدين على
صيدا بانتزاعها الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب
سنة ٥٩٠ فأخذها عنوة

(١) ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٤٢-١٤٣.

عاشور: الحدود الاسلامية البيزنطية، ص ٢٠٦.

(٢) هو ابو الحسن علي بن ابي بكر الهرجي، من اهل هرجة من اعمال
بخارى، ولد في حدود سنة ٥٣٠هـ، وتوفي بعد سنة ٦٠٠هـ.
الزركلي: الاعلام، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٣) الكرباة: تاريخ دولة الاكراد، ص ٢٠٠، ٢٠١.
مخطوط

(٤) ابن شداد: تاريخ دولة الاكراد، ص ٢٠٠، ٢٠١.
مخطوط

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٢٠٠.
ابن واصل: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج ٢، ص ٢٠٠.
ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٤٢-١٤٣.

هكذا أوضحت لنا الرواية الأولى أخبار هذه الحملة وفشلها
حسبما استقينا معلوماتنا من المؤرخ يوسف الثاني
ابن هاشم محمد حسين بيت الفلاح الطليعي

أما الرواية الثانية فقد أكدت ما قالت به الرواية الأولى
في صدارة وتجاهلت بعض الأسماء على أنها كانت هذه
الرواية عادت إلى وثائق بعد أن اعتمدت على الملك
والشعب !!!

وفي لوي الثاني فقد قرأت قام عبد الأنيوس لذلك الوقت
صاحب باباس الثانية للملك الناصر صلاح طلب على
أحد وقتها بقصف القوات الطليعية صوب باباس
والتقت بقوات الأنيوس على تل قريب عند الطريق
وتمكنت قوات الغزاة من هزيمتهم واضطرت هذه القوات
إلى الفرار إلى قلعة الصبية بينما قصفت القوات
الطليعية صوب باباس فأسرع الملك بتسليمها
بالعفو وبمعاقبة في حين كانت القوات الملكية
الباهرة إلى قلعة الصبية قد تمكنت عساكره
تنظيم قواتها لمواجهة الطليعيين وقد سبقت هذه
القوات صوب باباس وتمكنوا من إنزال الهزيمة بالطليعيين
وتعقبوا القوات الطليعية الراجعة إلى حيث باتوا فرحة
ومن ثم التقى هذه الملك وأمواله إلى الحدود

١١ من سبتمبر ١٣

صباح ٣

وبهذا يكون الحول أن لويس التاسع قد فشل في الإستفادة من الإنشقاق الذي حدث بين الشام ومصر مما اضطره أخيراً إلى العودة إلى عزتافغادر فلسطين في ربيع الأول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م تاركاً محروقاً في كرامته وعزته وكبريائه بعد هزيمته في مصر وفشله أيضاً في الإستفادة من إنشقاق الأيوبيين والمماليك (١).

(١) الأمير أحمد الشهابي
على على الصلابي : الدار بيبرس الإنتصار وملحمة
يوسف حسن غزالة : معاهدات الصلح والسلام
بين المسلمين والفرنج ص ٧٨ - مخطوط

الفصل الأول

جهاد ملوك الشام الأيوبيين، وملوك مصر ضد الصليبيين خلال النصف الأول من القرن ١٣م

كان ملوك البيت الأيوبي حاكمين مصر والشام يدًا واحدة في الجهاد ضد الصليبيين وذلك على الرغم مما كان بينهم من منازعات، بل أن ملوك الأيوبيين لم يتركوا أية إغارة أو هجوم من قبل الصليبيين على الساحلين إلا وشاركوا في صدها وقد بدا هذا واضحًا في روايات المصادر الإسلامية التي تشير إلى مشاركة ملوك الأيوبيين في الشام في كل الأحداث التي عاصرها الملوك بنزول كل من صاحبي مصر والشام في تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام حيث كان

أهم ثمار هذه السياسة مناضلة الصليبيين الذين كانوا لا يزالون مقيمين هم على سواحل الشام.

(١) منى سعد الشاعر: جهاد البيت الأيوبي في بلاد الشام والجزيرة ضد القوى المسيحية ص ١١١.

(٢) أحمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس ص ٤٠.

قاسم عبده قاسم: الأيوبيون والمماليك ص ١٦٦.

سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٦.

فقد أسس الفاطميون مملكة امتدت على سواحل
البحر الأبيض في داخل بلاد الشام وحلب وأصبحت
هذه المدن عبارة عن مستعمرات طوائف الأروبيين تحمل
سلاطين مصر على استردادها
منهم ومعاونة بعض أمراء بيت نواب وملوك
الأيوبيين في الشام لما عاونوا بلاد
الأسبان

(١) محمود رزق سليم عصر سلاطين المماليك ج ٢
ص ٢٨٤

في خلال معركة عين جالوت زعماء المماليك أظهر قطز وبيبرس وقلاوون مهارة سياسية وبعد نظر لم يأتي للصليبيين فاتجهوا لمحاصرة الصليبين فمرلا بجاريوم خصمين في وقت واحد وأرسلوا إلى حكومة عكا يتأزن في السماح لجيوشهم بعبور الأراضي الصليبية لمحاربة المغول وكاد أن وافق الصليبيون بعكا على ذلك الطلب وهكذا صار قطز بجناء الساحل على رأس الجيش المملوكي ومسيطرا في أراضي الصليبين بجناء الساحل بل إن الصليبين في عكا خرجوا إلى السلطان قطز ومعهم النفائس والهدايا وأرادوا أن يسيروا معه بخدمة فشكرهم وأخلع عليهم واستحلفهم أن يكونوا له ولا عليه بل أنهم ليرأته من تبعه بمفارس أو رجل يريد أذى عكر المسلمين رجع وقائلهم قبل أن يلتفت الترك وبعد ما حصل المماليك في الأراضي الخاضعة للصليبيين على ما ألزمهم بسببه ومن اتجهوا شرقا عبر الجليل إلى الأردن ولا شك أن السماح الجيش المماليك باتخاذ الطريق الساحلي العريض أتاحت لهم فرصة ذهبية للقاء العدو هم على أعلى الإستعداد!!

جهاد المغول الأوائل على
عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ
/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)

اعتقد التتار أن الفرصة أصبحت سانحة بمقتل السلطان المظفر قطز للأخذ بثأر الهزيمة الكبرى التي لحقت بهم في عين جالوت حيث توفروا قيام خلافات بين أمراء الممالك وبالتالي انقسام لوحدة الصف الإسلامي[١]

ومن ثم تجمع التتار بقيادة بيدرا في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وتوجهوا إلى جهة الشام وكان معظم هذا الجيش يكون من قليل الكتائب التي بقيت بعد موقعة عين جالوت وقد جمعها القائد بيدرا من أطراف الشام والعراق ذلك بعد ذيوع خبر وفاة السلطان قطز وتربعوا من البيرة على الفرات[٢]

وما بلغ نائب حلب الذي ولاه السلطان الملك المظفر قطز وهو الملك السعيد بن صاحب الموصل جرد جماعة من العزيزية والناصرية وأرسل إلى التتار جماعة قليلة من العسكر وقدم عليها الأمير

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص٢٠٦-٢٠٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٤٢؛ العيني: أحمد بن إبراهيم الحنفي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٩٦؛ فايد حماد: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، ص٢٦٩

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ص٢٠٢-٢٠٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٤٢؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٧٦؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة ج٢، ص٦٠٩

سابق الدين أمير مجلس الناصري[١١] فأشار عليه كبراء العزيزية بأن هذا مصلحة للاد فإن هؤلاء قليلون ويحصل الطمع بسببهم في البلاد فلم يلتفت إلى ذلك وأصر على سيرهم فسار سابق الدين أمير مجلس بخلم بن معه من التتار وحاربوا البيرة وحينئذ عليهم التتار وقتل غالب عسكره معه وكان ذلك في زمان غيبة الأمراء على الملاة الشديدة

ثم اتفقت العزيزية والناصرية وقدموا عليهم الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي في الوقت الذي تقدمت فيه الجيوش المغولية إلى حلب في يوم الخميس السادس والعشرين من ذي الحجة عام ٦٥٨ / ١٢٦٠ بقيادة بيدرا إلى حلب فانسحب الأمير حسام الدين الجوكندار وأصحابه وأخرجوا أهلها إلى قرية قرنبيا واسمها مقر الأنبياء فسماها العامة قرنبيا وهي قرية مجاورة لحلب ونزلوا بتهم البيوت تأقنوا غالبهم وسلم القليل وبعد امتلاكهم لحلب تقدمت قوائم إلى حماة وكان نائبها الملك المنصور فنزلوا

---

[١١] أمير مجلس الناصري:

[٢١] ابن واصل: مفرج الكروب ٢ ج ٦ ص ٢٠٢ ، ٣٠٣.
الحنبلي المدرسي: السلوك ج ١ ص ٤٤٢ ، البيبرس المنصوري الجاشنكير ج ١ ، ص ٦٨ ، فايد حماد: الجهاد الإسلامي ص ٢٦٣ المختصر ٨ ج ٢.

بحماة بسرناحية الجنوب وكان الأمير حسام الدين
الجوكندار وعساكره قد وصلوا إلى حماه قبلما أدركه الكر
فنزل بحماه الجوكندار والملك المنصور صاحب حماه
وبصحبته أخوه الملك الأفضل والأمير مبارز الدين
وباقي العسكر واجتمعوا بحمص مع باقي العسكر
إلى أن خرجت تلك السنة!!

موقعة حمص الأولى ٦٥٩هـ/١٢٦٠م

إجتمع الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار مقدم
عسكر حلب والملك المنصور صاحب حماه وأخوه الأفضل
علي والأمير مبارز الدين وسار الجميع من حماه بعد أن علموا
باقتراب التتار ووصلوا حمص إلى حمص حيث اجتمعوا
مع صاحبها الملك الأشرف كما في الوقت الذي عزم فيه
عسكر حلب على السير إلى دمشق وفي الوقت نفسه
كان العدو قريباً من حمص ويتهددها، وهنا يتضح
دور الملك الأشرف صاحب حمص ومدى شجاعته
حيث لام الجوكندار على تخاذله عن القتال وقال له:
"ما يقال عنا في البلاد وأي وجه نلقى صاحب مصر
وأخذ في حثه هو وصاحب حماه على لقاء العدو

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج٥ ص٢٦٤ عن ٣٠٣-٣٠٤
أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج٣ ص٢٣٤

-٢٠٨-

الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر ج٨ ص٩٦ ؛ العيني
عقد الجمان ج١ ص٦٨ ؛ ابن سباط ج١ ص
سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج٢
ص٩٠٦ ؛ زايد حماد: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين
ص٦٢ - ٦٤

ويهمنا بهذا إبراز دور صاحب حماه وحمص الأيوبي في تصفية الوجود الصليبي بالبلاد الشامية فقد

أسهم الملك الأشرف موسى صاحب حمص مع أخيه الظاهر الناصر بيبرس في جهاد الصليبيين في الشام

فقد عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م أصدر بيبرس أوامره إلى الملك الأشرف موسى الأيوبي صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماه بمهاجمة أنطاكية وأمدهما بقوات من عنده ولبى صاحبا حمص وحماه نداء السلطان بيبرس وأسرعا بالسير إلى أنطاكية وحاصراها وكاد أن يستولي عليها لولا تدخل هيثوم الأول ملك أرمينية الصغرى الذي حلف يومئذ الملك الأشرف صاحب أنطاكية الصليبي فاضطرت القوات الإسلامية إلى رفع الحصار عنها إلا أن القوات الإسلامية بقيادة الأشرف موسى صاحب حمص والمنصور صاحب حماه تمكنت من الاستيلاء على ميناء أنطاكية وإحراق المراكب بها والاستيلاء على حواصلها والعودة إلى حمص بعد أن أسروا ما يزيد على ثلاثمائة أسير[1]

[1] هيثوم الأول بن ملك أرمينية الصغرى ابن قسطنطين الباروني الحمصي على عرش أرمينية الصغرى بعد وفاة أبي الثاني وكان قسطنطين هذا ربيب الأسرة الهيثومية أحد الأمراء الأرمينية وكان متزوجا بابنة هيثوم صاحبة أبيلا ابنة أبي الثاني وورثه عرشه فأصبح هيثوم ملكا على مملكة أرمينية الصغرى

- استرجيا ٢ تاريخ الأمة الأرمينية : الموصل ١٩٥١ ص ٥٥٩

- ١٢٠ ١٠ ١ فصل تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٣٠٢ - ٣٠٤

ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ص ٣٠٤ - ٣٠٥

الدواداري : زبدة الفكرة ج ٩ ص ٤٠٩

المقريزي : السلوك ج ١ ص ٤٤٩

- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ص ٣٠٤ - ٣٠٥

ولما وصلت أخبار هذا الانتصار إلى السلطان الظاهر بيبرس بالقاهرة أرسل الخلع والصلات إلى صاحب حماة وحمص الأيوبيين سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م إلى أن توفي الملك المنصور في عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م وعندما وصل إلى الطور وصل إلى حمص الملك الأشرف موسى الأيوبي صاحب حمص وحلب بأمر السلطان وأحسن الله وفادته الملك الأشرف حمص

وبعد اجتماع القوات لدى السلطان بيبرس أمر بعضها لهدم كنيسة الناصرة التي تعتبر عند النصارى عبادات أي حين فهمت هذه القوات الكنيسة واغارت في طريق عودتها على عكا تعاون السلطان بالقوات الإسلامية بسرعة على مهاجمة عكا ولكن لم تستطع الاستيلاء عليها فعاد إلى بيت المقدس ومنها إلى القاهرة [1].

أما الملك الأشرف فبعد عودته من حملته السلطان بيبرس في مهاجمة عكا عاد إلى حمص حيث توفي في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م وبوفاته انتهى دور حمص الملك الأيوبي في حمص.

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ص ١٣٢.
(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ص ٢٩٠.
أبو الفدا: المختصر ج ٣ ص ٢٦.
النويري: نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٣٠٧.
(٣) المستند تحفة الملوك والسلاطين ص ٥٧.
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٥٣ ص ٩٤.
عصر سلاطين
دولة أيوبية: كنز الدرر ج ٨ ص ٦٠ الكتبي
السلوك والمقريزي ج ١ ص ٥٠٩ ابن واصل ج ٥
ص ٤٠٨.